



وصية شيخ البرزخ الغائر
على شيخ الطريق الحاضر
" فديحة الشيخ جمعنا "

هدية من أبناء الإمام الجعفري بالمركز العام بمناسبة الإحتفال
بمولد شيخهم سيدي صالح الجعفري و سيدي عبدالقنى صالح الجعفري
رضي الله عنهما

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد رحمه الله
للعالمين ، و على آله في كل لمحة و نفس عدد ما وسعه علم الله آمين
أما بعد... فأعظم الوسائل الي الله تعالى ، سلوك طريق الأدب و التربية ،
و أقرب ما يوصل العبد إلى مولاه ، صحبة العارفين ، ذوي الهمم العالية ،
و التربية النبوية ، و التأدب بين يدي المشايخ ، أهل النزاهة و التصفية
و التأدب بأدابهم المرضية.

و لله در القائل :

فالقوم بالأداب حقا سادوا منها استفاد القوم ما استفادوا

فما ساد القوم و شرفوا إلا بالأدب مع الله تعالى ، و مع رسوله " صلى الله عليه
و على آله وسلم" و مع أشياخهم و مع سائر المسلمين.

فالأدب مع الله تعالى بامتثال أمره و اجتناب نهيه.

و الأدب مع رسول الله صلى الله عليه و سلم باتباع سنته ، و إيثار صحبته ،
و الاهتداء بهدية و التخلق بأخلاقه.

و الأدب مع الشيخ بحفظ الحرمة ، و حسن الخدمة ، و صدق المحبة.

و هذا الطريق إن هو إلا ميراث نبوي ، أخذه الشيخ الوارث عن وارث عن
وارث إلى خير وارث ، وهي مستمرة حتى يرث الأرض و من عليها ، و هو
سبحانه خير الوارثين.

و هي إذا ما حققت موارث عن خير مبعوث و خير وارث

من أجل ذلك فلا ضير إن قيل بأن الأدب مع الوارث إنما هو في حقيقة الأمر أدب
مع مورثه.

و كما قال شيخنا الإمام الجعفري - رضي الله عنه :-

{} فبابك للمختار شيخك يا فتى به الوصل بالمختار في حضرة القرب

و بالسيد المختار ترقى إلى العلا و يدنيك من رب الوجود بلا حجب

قال رضي الله عنه : و أردت بالشيخ ، شيخ الطريق الخفي في البرزخ ، و أما الذي تلقيت عنه الأوراد ، فهو بابك إلى الشيخ صاحب الأوراد - تأمل جيداعبارة الشيخ القادمة و بدونه يتعذر عليك الوصول ، و يكفي فيه استقامة لظاهر من فعل الواجبات ، و ترك المحرمات ، لأن طاعته لا تنفك ،

و معصيته لا تضرك{}^١

فمن تأدب مع شيخ الطريق الحاضر فقد أتى البيت من بابه ، و حصل الأمر بشروطه و أسبابه .

و من جملة الأدب الواجبة على المرید تجاه شيخه ، حسن الاعتقاد و هذا لا يكون إلا بعد التسليم و الإنقياد ، و التسليم و الإنقياد ، لا يكون إلا بعد ترك الإنكار و الانتقاد ، و في هذا يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي " الانتقاد جنابة ، و التسليم ولاية ، و الإعتقاد عناية".

أولاً : ترك الانتقاد

إن السبب الرئيس لوقوع المرید في دائرة الإنكار ، هو شهود المرید بشرية شيخه ، و مماثلته لظاهر أحواله

و في هذا يقول سيدي عبد الوهاب الشعراني (رضي الله عنه) : ((إن أشد حجاب عن معرفة أولياء الله (عز وجل) ، هو شهود المماثلة والمشكلة وهو حجاب عظيم ، حجب به أكثر الأولين و الآخرين ، كما حكى الله تعالى عن قريش قولهم "مال لنا الرسول أكل الطعام يعني في الأسواق" ، و عن قوم نوح قولهم " ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل ما تأكلون منه و يهرب ما تهربون" ولكن إذا أراد الله عز وجل أن يعرف أحدا بولي من أوليائه ، ليأخذ عنه الأدب ، و يقتدى به في الأخلاق ، طوى عنه شهود بشريته ، و أشهده جوانب خصوصيته ، فاعتقده بلا شك و حبه أشد المحبة ، و أكثر الذين يصحبون الأولياء ، لا يشهدون منهم إلا وجهة البشرية ، فلذلك قل نفعهم ، و عاشوا عمرهم كله معهم ، ولم ينتفعوا منهم بشئ))^٢

فمن لا صدق له لا سير له ، ولو بقى في صحبة الشيخ ألف عام

^١ الإلهام النافع ص ٥٨

^٢ طبقات الكبرى سيدي عبد الوهاب الشعراني ج ١ صفحة ١٢

وشيخنا الإمام الجعفرى (رضى الله عنه) نأى بمريده من أن يزج بنفسه في دركات الإنكار ، فقال (رضى الله عنه) :-

((و من الوبال علي المرید إنكاره على شيخه المباشر أو على شيخه الذي في البرزخ و عليه أن يسلم تسليماً))^٢

و في معجم مقاييس اللغة لابن فارس " نكر لشيئ إنكره : أى لم يقبله قلبه و لم يعترف به لسانه " ، وكان لسان حال شيخنا يقول : أنا لا أريدك يامریدی أن تتأى بنفسك عن الاعتراض على شيخك بلسانك ، ولكن أريد منك ما هو فوق ذلك ، أريدك ألا تتكر على شيخك حتى ولو بقلبك وفؤادك.

قال صاحب الرانية :

من يعترض و العلم منه بمعزل *** يري النقص في عين الكمال و لا يدري
أى و من يعترض على الشيخ ، أو على غيره من اهل الطريق و هو جاهل ، فإنه يري الكمال نقصانا ، و يقرب الأمور و هو لا يدري ، فينبغي للمريد كلما أشكل عليه شئ من حال الشيخ ، يذكر قصة موسى (عليه السلام) مع الخضر و كيف كان سيدنا الخضر يفعل أشياء ينكرها سيدنا موسى (عليه السلام) فإذا أخبره سيدنا الخضر بسرهما ، رجع سيدنا موسى (عليه السلام) عن إنكاره ، فما ينكره المرید لقله علمه بحقيقة ما يوجد من شيخه.

فكيف ينكر المرید على ما لم يحط به علماً ، و لم يدرك له شأناً و لا قصداً ؟ ، و لو عرف المرید شأن شيخه لعظمه ، و لو عرف حقيقة قدره لأكرمه يقول سيدي عبدالقادر الجيلاني:

و لا تعترض فيما جهلت من أمره *** عليه فإن الاعتراض تنازع
ففى قصة الخضر الكريم كفاية *** بقتل غلام و الكليم يدافع
فلما أبان الصبح عن ليل سره *** وسل حساماً للغياب قاطع
أقام له العذر الكليم و إنه *** كذلك حال القوم فيه بدائع
قال أبو الحسن الشترى رضى الله عنه : و لا تعترض علي المشايخ فيما يصنعون فإنهم لا يتصرفون إلا عن إذن و بصيرة"^٣

^٢ الإلهام التاسع ص ٦٠

^٣ الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ ص ٢٤١

فلا ينبغي للمريد أن يفتح على نفسه باب الاعتراض على شيخه ، لأن هذا من شأنه أن يعطل سيره ، ويؤخر ركبته ، ويحجب عن المريد خيرا كثيرا ، ويقطع الصلة القلبية ، والمدد الروحي بينه وبين شيخه .

قال العلامة ابن حجر الهيتمي {ومن فتح باب الاعتراض على المشايخ ، والنظر في أحوالهم وأفعالهم ، والبحث عنها ، فإن ذلك علامة حرمانه ، وسوء عاقبته ، وأنه لا يُنتج قط ، ومن ثم قالوا: "من قال لشيخه لم؟ لا يفلح على يديه أبدا" }^١ ومما يجدر الإشارة إليه هو أن وجود المنكرين على الأسيخ لا يُذهب عزهم ، وإنما ترتفع بسبب إنكار المنكرين عليهم عند الله أقدارهم ، وهذا ما قاله سيدي عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الكبرى حيث قال: {وقد اقتضت الحكمة الإلهية عدم اتفاق الخلق على الاعتقاد في واحد منهم والإذعان له ، وفي ذلك سر خفي ، لأنه لو كان الخلق كلهم مصدقين لذلك الولي ، لفاته أجر الصبر على تكذيب المكذبين له ، ولو كان كلهم مكذبين له ، لفاته الشكر على تصديق المصدقين له والمعتقين لأثاره ، فأراد الحق تعالى بحسن اختياره لأولياته ، أن يجعل الناس فيهم قسمين كما تقدم ، معتقد مصدق ، ومعتقد مكذب ، ليعبدوا الله تعالى فيمن صدقهم بالشكر وفيمن كذبهم بالصبر }^٢

ثانياً : وجوب التسليم والإنقياد :-

فمن سلم حال الشيخ له سلم ، ومن كل خير غنم ، وما صحب المريد شيخه بالتسليم والإنقياد ، إلا كان سائكا سبيل الخير والرشاد .
والاستسلام للشيخ وطاعته في جميع أوامره ونصائحه ، ليس من باب الإنقياد الأعمى ، الذي يهمل فيه المرء عقله ، ويتخلى عن شخصيته ، ولكنه من باب التسليم لذوى الاختصاص والخبرة ، وهذا يشبه تماما استسلام المريض لطبيبهِ استسلاما كلياً في جميع معالجاته وتوجيهاته ، ولا يعد المريض في هذا الحال مهملاً لعقله ، بل يعتبر منصفاً عاقلاً ، لأنه سلم لذوى الاختصاص ، فكان صادقاً في طلب الشفاء .

^١ الفتاوى الحديثية ص ٥٥ لأن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة ٩٧٤ هـ .
^٢ الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٢

وقد أمر شيخنا الإمام الجعفرى أبناءه بالتسليم ، بل منتهى التسليم ، حينما قال
رضى الله عنه :
اتبع طريقى وكن كالमित منجدلا *** عندى وحاذر غرورا عند حالات

وقد جاء فى كتاب (نصر الله بالإلهامات العلمية) الذى حققه شيخنا الإمام
الجعفرى ، ما نصه :

{اعلم أيها الخائض فى المعارف ، والراكب فى البحر الذى لا ينزف ولا يحظى
به إلا كل عارف ، ولا يفنيه غرف غارف ، أن الجواهر معدنها البحار الزواجر
، وأن البلوغ إلى نيلها لا يصل إليه إلا من سلم نفسه إلى الشيخ الماهر ، وترك
الاعتراض والسؤال عما ليس من شأنه فى جميع المطالب ، وخلق نفسه مع
الشيخ كالقلم فى يد الكاتب.....ومن ذاق طعم كلام القوم يدرىه ، ومن كان ذهنه
كالصخرة الصماء فلا ينفعه تكرار الكلام ولا يجديه ، ولا يد من حسن العقيدة فى
الشيخ المرشد ، وعدم المخالفة فى العقائد والفوائد }^٧

وهل هناك تسليم أعظم من أن يكون المرید مع شيخه كالقلم فى يد الكاتب ، أو
كالमित بين يدي الغاسل؟!

فسلم تسلم ، أو اعتقد تغنم ، فإن أرض المنتقد لا تساوى سماء المعتقد ، فمن
سلم للشيخ حاله نال من ربه وافر الخيرات ، أما من حكم العادات فقد حرم نفسه
وابل الخيرات والبركات.

قال سيدى محى الدين بن العربى رضى الله عنه: {ومن شأن المرید أن يعتقد فى
شيخه أنه على شريعة من ربه وبينه منه ، ولا يزن أحواله بميزانه ، فقد تصدر
من الشيخ صورة مذمومة فى الظاهر ، و هي محمودة فى الحقيقة و الباطن
فيجب عليه التسليم} ^٨.

فمن عامل الأولياء بالميزان ، لا يناله إلا الحرمان ، و من صحبهم بالتسليم
وحسن الإعتقاد نال من ربه الخير والرشاد.
وفى هذا يقول شيخنا رضى الله عنه فى (سفيينة القوم):

سَلِّمْ لَهُمْ حَالَهُمْ حَتَّى تَكُونَ عَلَى *** حَالٍ تَرَى حَالَهُمْ سَلِّمْ لِمَنْ غَيْرَا
فَمَنْ سَلِّمْ لَشَيْخِهِ وَمُرَبِّيهِ ، فَقَدْ فَتَحَ لَهُ الْبَابَ ، وَرَفَعَ عَنْهُ الْحِجَابَ .

ثالثاً: حسن الاعتقاد:ـ

وهذه المرتبة أعلى من سابقتها ، بل هي أعلى المنازل و المراتب ، فحسن ظن المرید بشيخه مهما رأى من الأحوال ، لمرتبة عالية ومنزلة سامية ، عليها يتوقف فتوح المرید ، وهذا هو ما قاله شيخنا الإمام الجعفرى وهو يوصينا بشيخ الطريق الحاضر ، فقال: {...ومن له شيخ فليشرد إليه عند الوسواس ، وليجلس بين يديه ، فإنه ترياق الأغيار ، ولا تنتظر إليه نظرك إليه ولكن انظر إليه ظاهراً وإلى شيخه باطناً ، ترى العجب العجاب ، ويفتح لك الباب ، ويسهل لك الوصول ، ويؤذن لك فى الدخول ، وحسن ظنك به هو مطيتك السريعة ، حتى تأخذ مالك عنده من وديعة ، فهو الترجمان بينك وبين أهل البرازخ أهل التحقيق والقدم الراسخ}١

فتأمل - حفظك الله - كيف شبه شيخنا الإمام الجعفرى حُسن الظن بالشيخ الظاهر بأنه هو المطية السريعة ، التى لن تصل إليك الوديعة إلا بها ، فوديعة عند شيخ البرزخ ، لكنها لن تصل إليك إلا من خلال شيخ الظاهر ، ولن تصل الوديعة منه إليك إلا بحسن الظن والاعتقاد فيه كما نص على هذا شيخنا رضى الله عنه .

وعن حسن الظن والاعتقاد يقول سيدي عبدالعزيز الدباغ : " إن المرید إذا عثر على شيء من هذه الأمور ، التى تصدر من الأشياء ، و تخالف الظاهر ، و حسن ظنه بشيخه فإن الله تعالى يوقفه على أسرارها إذا فتح عليه "٢

و عن مثل هذا يقول العلامة ابن حجر الهيتمي :- " و من فتح باب التأويل للمشايخ ، و غض الطرف عن أحوالهم ، و وكل أمورهم إلى الله تعالى ، و اعتنى بحال نفسه ، و جاهدتها بحسب طاقته ، فإنه يرجي له الوصول إلى مقاصده و الظفر بمراده "٣

فإذا قصد المرید شيخه ، فلا يدخل عليه إلا متعدياً كما ولايته ، و لا يدخل مختبراً فيحرم من بركته ، فكل من قصد المشايخ و الأولياء بالميزان ، فلا ينال الا الحرمان و من أتاهم بالتعظيم و حسن الاعتقاد ، نال من الله كامل المحبة و حسن الوداد .

١ الإلهام التاسع ص ٥٢

٢ الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدباغ ص ٣٤٢

٣ طبقات الصوفية ص ٢٨٣

و على حسب هذه الدرجات الثلاثة السابقة ، وبقدر تفاوتهم في تلك المراتب تختلف أحوال المريدين فصاحب الإنكار و الإنتقاد محروم ، أما صاحب التسليم و الإنقياد ، فإنه يمد بالخيرات و البركات لكن مدده محدود ، و أما صاحب حسن الاعتقاد فعطاء الشيخ له لا تسع كتابته الأقلام ، و لا تحيط بكنهه الأفهام ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم.

و من أجل ذلك تجد المسلك واحداً ، و الفتح مختلفا (يسقي بماء واحداً و بفضل بعضها على بعض في الأكل)

هذا في شأن الحياة النباتية ، فكيف بالحقائق العرفانية و الإمدادات الربانية ، هل يستوي الذين يتأدبون و الذين لا يتأدبون ، إنما ينال الخير كله من تأدب مع الأحباب .

توقف المدد على حسن الأدب

إن العلاقة بين الأدب و المدد عند أهل الطريق علاقة طردية بحيث إذا زاد هذا زاد ذلك ، و إذا ساء الأدب إنقطع الإمداد ، و الأدب هو الترجمة الفعلية للمحبة الصادقة التي يُكنها المرید لشيخه ، فمن زعم الحب ثم أساء الأدب فقد كذب ، فلو كان حب المرید في شيخه صادقا لأطاعه إن المحب لمن يحب مطيع ، فالإرث و الإمداد إنما يكون بصدق المحبة و حسن الأداب ، و في هذا يقول شيخنا الإمام الجعفري رضي الله عنه:-

(إن كل مریداً يرث من مقام شيخه و حاله على قدر إجتهاده و إستعداده و وثوق الشيخ به)^{١٢}

و لن يثق الشيخ إلا بالمرید الذي صحت عقيدته و صدقت فيه محبته ، و تمثل بالأداب مع شيخه ظاهراً و باطناً .

و عن توقف المدد على حسن الاعتقاد و الأدب يقول سيدي علي بن وهب السنجاري : (لا تنتفع بشيخك إلا إذا كان إعتقادك فيه فوق كل إعتقاد ، فهناك يجعلك في حضوره ، و يحفظك في مغيبه ، و يهذبك بأخلاقه ، و ينور باطنك بإشراقه ، و إن كان إعتقادك فيه ضعيفا فلا تشهد فيه شي من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك عليك فتشهد صفاتك كأنه صفاته ، فلا تنتفع به أبداً ، و لو كان شيخك أعلى الأولياء درجة.^{١٣}

^{١٢} الإلهام اللدني ص ٨٢

^{١٣} الطبقات الكبرى للإمام الشعراي ص ١٢٩

و عن مثل هذا يقول شيخنا (رضي الله عنه) أيضا :

" أعلم يا أخانا هداك الله و هدانا ، أن مثل المشايخ كالسحب تحمل رحمة الله المساقاة لسقي القلوب المحمدية ، لتحيا بها الحياة الطيبة ، و إن رياح حبك و إخلاصك إليهم تسوق سحب غيظهم إليك " ^{١٤}

فتأمل مقالة الشيخ ، فلولا رياح الحب و الأدب منك ، ما كان سحب الغيظ عليك .

و لله در سيدي أبو مدين الغوث :

و راقب الشيخ في أحواله فعسى يري عليك من استحسانه أثرا

ففي رضاه رضي الباري و طاعته يرضي عليك فكن من تركها حذرا

وصية شيخنا الجعفري الإمام لأبناء الطريقة الكرام

شيخنا الإمام الجعفري ما كتب شيء من مؤلفاته إلا و هو يعني بكل حرف

و كلمة فيها أبنائه و مرديه خاصة ، قبل أبناء المسلمين عامة ، و من جميل ما قاله شيخنا مذكراً أبنائه و مرديه بالأدب مع الشيخ الحاضر ، قوله: (.... هذا... مع حبك لشيخك الذي أخذت عنه الطريق و سماعك لكلامه و إتباعك لإرشاداته ، فإنه يمثل شيخ الطريق بالخلافة والنيابة ، فلا تخالف له أمراً ، و تأدب معه بالأداب التي كتبها الصوفية في كتبهم ، ولا تلتفت الى شيخ غيره مهما كان حاله ، فإن ذلك من القواطع ، و لا تتعرف على شيخ غيره حتى يتم أمرك ، و يفتح بابك) ^{١٥}

و هذه العبارات التي كتبها شيخنا كافية في أن تزيل عن المريدين كل زيغ أو شك أو إرتياب ، و تسلك بهم طريق الحق و الصواب .

^{١٤} الإلهام النافع ص ٥٢

^{١٥} النخلة المعجزة للأرواح المعطلة (طبعة القديمة) ص ٢٢

ما يتوقف عليه الفتوح في الطريق
قال شيخنا الإمام الجعفري :-

((إن الفتوح في الطريق متوقف على أمور :

الأمر الأول :- أن يعرف المرید منزلة قدر شيخه حتى يمتلئ قلبه بتوقيره
و احترامه ، و يشاهده عند تلاوة أوراده مشاهدة الأخذین عنه في أيامه .

الأمر الثاني : أن يحبه حباً عظيماً حتى لا يُقدّم عليه شيخاً من الموجودين
في زمانه ، لكي لا يميل قلبه إلى شيخ آخر ، فإن من مال قلبه مال و قفل
الباب دون الوصال .

الأمر الثالث : أن يعرف فضل أوراد شيخه حتى لا يستخف بها بتلاوة
غيرها و يتركها ، و يكون مثله من غرس غرساً و منعه الماء فمنع نفسه
الثمر ، و هيهات هيهات أن يثمر غرس بغير ماء .

الأمر الرابع : أن يعلم أحواله كيف كانت في حياته الدنيا حتى يفقدي به و
يكون حاله كما كان شيخه ، فإن كل شيخ يحب من مرديده أن ينهج نهجه ،
و يكون على الحال الذي كان عليه من غير تغيير و لا تبديل ، و بذلك يكون
وارثاً له حقاً ، لأن كل مرید يرث شيخه لكن بشرط أن يكون حاله كحال
شيخه .

الأمر الخامس : ألا يعلو على شيخه بحال من الأحوال مهما وهبت له
المعلومات ، و مهما كشفت له مكاشفات ، و يري نفسه فرعاً لشيخه ،
و دانما سرمداً تتوق إليه روحه ، كما قال سيدي عبدالكريم الجيلي :- أصل
الهوي و الفرع يطلب أصله .

الأمر السادس : الأدب مع الشيخ الذي لفتك أوراد الطريق فعليه ان يلقنك
الأوراد ، و أن يعرفك شيخ الطريق ، و عليك أن تحبه و ان تتأدب معه ،
من أجل شيخ الطريق ، لأن شيخ الطريق له باب و هو الشيخ الذي لفتك
الأوراد ، الحضرة المحمدية له باب و هو شيخ الطريق الأصلي ، و الحضرة
الإلهية لها باب و هو النبي صلى الله عليه و سلم .))^{١١}

^{١١} اصطار ازهار احسان حظيرة القنبيس (الطبعة القديمة) ص ١٤٦ .

قال رضي الله عنه يوصينا بالشيخ الظاهر :-

الشيخ باب الشيخ اعرف فضله فيه الوصول إلى الذي هو أحمد
و {بالشيخ الجعفري} ^{١٧} تدخل حضرة فيها الحبيب هو النبي محمد
باب الإله نبينا تدخل به في حضرة القدس التي لا تنفد

و نسالك ربنا بجاه نبينا أن لا تزغ يوماً لقلوبنا ، و أن ترزقنا
الصدق في محبة شيخنا ، و أن تعظم حرمة و قدره في قلوبنا ، و نسالك
ربنا أن تحفظ شيخ طريقنا

شيخ الطريق محمد هو صالح الشيخ كان بالجدود سميا
ورث الفراسة من أبيه و جده الجعفري ورث النبي وليا
رث الولاية و الكرامات العلا يأبي الظهور بها يبيت خفيا
ما ساء شخصاً بل و إن شخص أسا في شخصه أمسي لذاك نسيا
ما عاب إنساناً و لا يرضى الأذي حقاً أراه من العيوب برياً
إني أحبك و المحبة فيكمو ترضي نبياً مرسلأ قرشيا
أدعوك يا الله إحفظ شيخنا في سور حصنك دائماً محميا
متعته في وفر السعادة و الهنا و بصحة أيضاً يدوم سنيا
و صلاة ربي و السلام على النبي ما بلبل يشدو حكي قمريا^{١٨}

و نسالك ربنا أن تكأل بالحفظ و العناية و الحرص و الرعاية أسد الحضرة
الجعفرية، و نائب شيخ طريقنا سيدي الحسين عبدالغني صالح الجعفري ،
و نسالك الرضا عن سيدي الحسن و أن تجعل سكناه أعلى فراديس الجنان ، كما
نسالك أن تحفظ راند شبابنا سيدي صالح محمد صالح .

و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و سلم

^{١٧} في الأصل (و بأحمد بن إبراهيم)

^{١٨} قصيدة للأستاذ علي سعيد بمجلة الطريقة العدد السادس و العشرون.